المجلد:18 العدد: 01/ سبتمبر 2022
ص: 281-292

ISSN: 1112-7015

EISSN: 2602-5973

تجليات الأدبية في أعمال مالك بن نبي من النسق إلى الوظيفة

مذكرات شاهد للقرن أنموذجا

literary manifestations in the works of malek ibn nabi from style of function witness diary of the century as a model

زركوك سميرة *[1]، سطمبول ناصر

جامعة وهران أحمد بن بلة1، الجزائر، zerkouksamira22@gmail.com

جامعة وهران أحمد بن بلة1، الجزائر، naceur_stamboul@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2022/04/18	تاريخ القبول:2022/07/16	تاريخ النشر: 2022/09/18

****

ملخص:

يعالج المقال إشكالية الأدبية عبر المقولات النسقية إنطلاقات من التحققات الجمالية التي تراكمها العلاقات الضمنية داخل النص، وتطرح إشكالية الأدبية من خلال التعامل مع متصورات الخطاب والتعاطي مع دلالاته الممكنة، وشكلت النقلة التصورية في فهم كيفية تشكل نسق الأدبية عبر البحث في طبيعة النسقية السردية وخاصة الأناسية لدى المفكر مالك بن نبي ضمن منجز " مذكرات شاهد القرن "، وبحث أوجه إنزياح لغته عبر مقولة الأدبية وفرادتها ضمن طبيعة الأنموذج السردي المدروس، واستخلاصا للمقولات النسقية السردية التي تشكل محددات الأدبية ضمن المطارحات التي حاولت تفسير حول كيفية اشتغال النسق ضمن الخطاب بوصفه جزءا من نسق لغوي وثقافي وتركيب من بنية اجتماعية ثقافية أناسية، يعمل على تمريرها إلى القيم الاجتماعية والثقافية ضمن نسق النص الأدبي

الكلمات المفتاحية: مالك بن نبي ، شاهد، قرن ، لبيك ،حركية الخطاب ; اشتغال النسق

ABSTRACT **:**

The article addresses the literary problem through systemic statements, starting from the aesthetic investigations accumulated by implicit relationships within the text, and raises the literary problem by dealing with the conceptualizations of discourse and dealing with possible connotations. The thinker Malik Bennabi, within the achievement of "Memoirs of the Witness of the Century", discussed aspects of his language's displacement through the literary category and its uniqueness within the nature of the studied narrative model, and an abstraction of the narrative systemic categories that constitute literary determinants within the arguments that tried to

* زركوك سميرة

explain how the pattern works within the discourse as part of a linguistic and cultural pattern and a composition of a social, anatomical structure, which works to pass it to social and cultural values within the literary text pattern

المقال:

1. مقدمة:

يطرح البحث الأدبي المعاصر سؤال الأدبية ونظرا لعدم وجود تعريف دقيق للأدب وتشعب التخصصات، والذي شغل النقاد منذ عقود وتبين أنه يدرس العمل المسمى "الأدبي" في واقعه التاريخي أو الاجتماعي بأفكار مستعارة من التاريخ وعلم الاجتماع و علم النفس وغيرها، بعيدا عن فهم هذا العمل في واقعه الأدبي وشرح وظيفته المحددة.

وقد **أدرك غريماس *A.J. Greimas*** أن الأدب بوصفه خطابا مستقلا، يشتمل بحد ذاته على قوانينه وخصوصياته(1). ومما لا شك فيه أن النص يتخلق من قصد كامن، إنه حصيلة اختمار وتفاعل لا تنحصر معايير تحديد ماهيته في طرق تجليه وتلقيه، بل يصير تحققات جمالية واجتماعية ويتراكم بحجم العلاقات الضمنية التي يولدها استقباله من خلال التأويل، وتؤطرها كيفية التعاطي مع دلالاته الممكنة. في اتجاه إعادة بناء شروط الخطاب وبحث العلاقات بين تلك الممارسات وادراك كيفية صياغة تلك الأنساق والنماذج الفكرية والثقافية. يتم وفق صيرورة معقدة من انتقال المفاهيم وإعادة إنتاجها داخل نسق كل خطاب بما يقوي استراتجيته.

ومن هذا التأسيس النظري يطرح السؤال المحوري حول كيفية فهم الأدبية وماهيتها؟ وكيف يشتغل الخطاب ووفق أي نسق يمكن إدراجه وفهمه؟ انطلاقا من تصورات تعتبر النص لحمة ذات قصد كامن و حصيلة تفاعل أنساق استنادا إلى مجموعة من الصيغ اللغوية، ولا يمكن أن يحدد بقوانين صارمة بسبب عدم وجود تعريف دقيق للأدبية أولا، ليجد الناقد نفسه بدون أسس نظرية أو موضوعية لدراستها ثانيا، رغم تأكيد غريماس(2) على أن الخطاب يحتفظ بقوانينه الخاصة وتأكيد **جوليا كريستيفا (j.kristeva)**(3) لمحدودية أو استحالة تحقق الأدبية عبر دلالات الألفاظ وحدها.

2- سؤال الأدبية ومتصورات الخطاب:

منذ بدايات الفكر الأدبي المبكر دعيت الفلسفة إلى الاهتمام بالأدب لدراسة أي نوع من الفهم والفكر أو الدورالذي يمكن أن يتولد في النصوص الأدبية، ففي دفاع وبحث مستميت حول

الميولات والممارسات الأدبية تكشفت حسب **بيير ماشيري (p.macherey)** "فلسفة أدبية" في خطابات متداخلة تشترك فيها ألعاب لغوية ذات أنظمة ومرجعيات متداخلة(4)، تنفي عنها صفة الخطاب الصرف سواء كان أدبيا أم فلسفيا أم فكريا، ولا يشتغل الخطاب الفلسفي إلا وفق نسق منتظم يؤطرعملية تبلوره وتمثله وانتظامه.

ومنه يصعب تحديد وعزل الشعري والفكري والفلسفي ضمن الخطاب نفسه. فالمتصورات الدينية والأخلاقية التي ترتبها الفلسفة وتدرسها حاضرة في النصوص الأدبية ومنعكسة على عدة أصعدة ومستويات، لذلك من الضروري إعادة التفكير في تراتبية تلك النصوص ودراستها وفق الطرق التي تنمذجها وتقولبها ثم تنمطها والوسائل التي تتطلبها أو الوظائف التي تشغلها.

يتأرجح سؤال الأدب حول كيفية اشتغاله المتراوح بين شعرية الخطاب بوصفه جزءا من نسق لغوي وثقافي وتركيب من بنية اجتماعية ثقافية، وكيف يتمكن من إدراج السنن والقيم الاجتماعية الثقافية ضمن نسق النص الأدبي، ولا يمكن أن نفصل بين التجربة الاجتماعية والتجربة الأدبية، فالتداخل الحاصل بين التجربتين يطرح إشكالية بصيغ مغايرة أهمها: علاقة الاجتماعي باللغة وعلاقة اللغة مع الواقع. وترى الأدب كنوع من آلية لاستكشاف دروب الصيرورة الإنسانية من منظورات مختلفة، أو كيف يمكن غلغلة التجربة الاجتماعية ضمن نسق النص الأدبي؟ لكي تتحقق الوظيفة المنوطة بالنص الأدبي وهو ما حاول مالك بن نبي استثماره لنشر أفكاره وبثها في الوسط الثقافي الذي عاش فيه وظل يأمل في تحققه.

3- أفق القراءة الأولية للمذكرات:

ومن منطق التساؤل عن كيفية تشكل الأدبية وسبل البحث عنها في تمظهراتها ينبغي التمييز بين الخطاب باعتباره حدثاً إعلامياً يحصل في زمان ومكان معينين، وبين كونه بنية، فالنص متواليات "يعود إلى الفرد وإلى قدرته على تحويل النسق إلى إجراء وتحويل الثابت إلى متغير وتحويل العلامة المفردة إلى خطاب"(4)، يدل في آن واحد على تحقق الحدث وتحديده للعلاقة القائمة بين الدال والمدلول ، ويدل من نافذة أخرى على تداخل الاجتماعي والثقافي في التجربة الإنسانية، كما يمر عبر تسنين ثقافي ودور وظيفي مجسد في اللاشعور الجمعي ويؤكد قيم الثقافة التي ينتمي إليها.

تروم فكرة تحليل النسق إلى تحقيق توجه علمي يؤسس لإمكانية فهم تداخل المدونة التاريخية والاجتماعية والدينية ضمن الخطاب الأدبي المؤسس على احترام اشتغال سنن اللغة الأدبية ودرامية اليومي، حيث تتكثف التجربة الشخصية للأديب ضمن الوجود الاجتماعي ومراكمة حزم كثيفة من العواطف والخبرات، التي تتواشج في سياقات وجود الأنا والمشترك الجمعي، والأدب بوصفه صياغة فنية لتجربة بشرية والتي تتضمن التجربة الشخصية، والتاريخية، والاجتماعية، والخيالية.

وعلى الرغم من غموض صيغ انصهار هذه التجارب داخل النص، وعدم فهم كيفية انسجامها واشتغالها في الذات والمجتمع، فإن انتقال الأديب من الإنسان إلى الرائي والفيلسوف شكل تقاطعا بين عوالم الطبيعة والعقل والعاطفة، ومكنه من إصباغ النص بصبغته الشخصية المتضايفة اجتماعيا، والنامية ثقافيا.

في ذات الوقت يمكن فهم اشتغال الخطاب الأدبي في فكر مالك بن نبي عن طريق فهم كيفية اشتغال الخطاب الديني والثقافي وما يقوم به من وظائف حيث يؤكد على التزام الأفراد بالممارسة الشعائرية الجماعية وما لها من رجع الصدى ثقافيا واجتماعيا، وممارسة علاقات المشاركة والتواشج التي تنعكس ايجابيا على الفرد والجماعة. ويذهب تالكوت **بارسونز (t.parsons)**(6) من خلال نظريته في الأنساق الاجتماعية والثقافية في تأكيد الوظائف المعيارية: كالقيم والمثل في الحياة الاجتماعية بين مجموعات بشرية تنشأ بينهم علاقات في مواقف متباينة ذات طبيعة تلاحمية.

4- حركية الخطاب واشتغال النص:

من المتداول علميا أن انتقال الافكار يتم من خلال: " محاولة تحقيق مجموعة الظروف الأصلية التي ترافق ميلادها ودخولها ميدان الخطاب. و المسافة التي تجتازها من خلال نقل وتحقيق سياقاتها" (7) و يتم وفق صيرورة متداخلة من تحرك وانتقال المفاهيم وإعادة إنتاجها داخل نسق كل خطاب بما يدعم استمرار وجوده ويمتن استراتجيته.

تنعكس الجرأة الثقافية عند محاولة الإمساك بكيفية اشتغال النسق في مساءلة مذكرات مالك بن نبي التي لا يتيح – بسهولة- إمكانية فهم النسق المندغم ضمن فسيفساء النص، قصد بلورة تصور عن كيفية اشتغاله في بناء التصورات وإدرلك التمثلات خاصة الدينية منها، ويظل الإحتكام

إلى سلطة النسق مسلكا ضروريا لفهم كيف تتواشج المدونة الدينية والاجتماعية ضمن المذكرات القائم على احترام اشتغال سنن اللغة الشعرية ودرامية اليومي الذي يصوره الروائي. وتتراكم خبراته الشخصية من خلال علاقاته من أجل مراكمة رأس المال الثقافي والرمزي والاجتماعي بكل ترسباته من عواطف وخبرات تنعكس في نص المذكرات.

يذهب مالك بن نبي في البنية الإشارية للغة المذكرات وفضاءها الديني إلى تجسيد تصوراته لرؤى العالم وفلسفته أزاء الله والحياة ، التي يبدو من خلالها نص المذكرات نصا متعاليا على التجنيس" كما قاد ابراهيم قديما ابنه اسماعيل إلى مذبح الرب، فكان على جدتي أن تقدم قربانا على مذبح وطن ينهار"(8) وقد تحولت متواليات الديني والثقافي والاجتماعي بمحمولاتها إلى أنساق وموجه كلي لفعاليات خطاب النص.

المتأمل في نص المذكرات ووعيه بالعالم والتاريخ. يكتشف أنه نص متداخل ومغاير، تجترح خطاباً أيقونيا متأثثا بنسقية الديني من خلال شعرية الكلمة وجمالية التخييل والسرد، عبر نوسطالجيا الأمكنة والاحتفاء بالذكريات"كانت بارعة في قص الحكايات..كانت هذه مدرستي الأولى فيها تكونت مداركي"(9). وهكذا تتولّد العلاقة بين الكاتب والأشياء وهو ما يسوغ اقتران اللغة بالحياة تتفرع من خلاله المستويات الدلالية إلى أبنية نصيّة تشكّلها علاقة الدال والمدلول داخل فضاء خطاب النص مشكلة أدبيته.

5- اشتغال النسق :

يشكل النسق الثقافي المعنى المشترك الذي يؤسس شراع الذوق والقيم ويتحول إلى لاشعور ثقافي جمعي يوجه أفراد المجتمع ويملي عليهم نمط إدراك الوجود ثم تكوين منظومة أفكار وقيم وقوالب، والذي يتوجب عليهم ترهينها وتحقيقها في الزمان والمكان، وعبر مصفاة التسنين الثقافي يتداخل الثقافي واللغوي في التجربة الإنسانية، ويستثمر الفرد علامات الثقافة التي ينتمي إليها بتنميط محتواها القيمي حسب قوالب جاهزة تنعكس في الخطابات المختلفة والادبية منها تخصيصا، ويظل محكوما في تواصله باللاشعور الثقافي ويخضع لما يسميه كريماص "لعبة الإكراهات السيميائية"(10). فالمؤلف كمنتج للعلامات يفكر داخل نظام اللاشعور الثقافي الذي هو حصيلة اختمار ذاتية الفرد واجتماعيته الذي ينكتب داخله، وهو ما يحصر اختياراته في مناطق محدودة ومستثمرة قبليا بمضامين الثقافة التي ينتمي إليها.

تسعى نظرية النسق إلى دراسة تداخل وانسجام العناصر المتنوعة من الثقافي والديني والاجتماعي، لتشكل المعمار السردي المؤثث بالمهيمنات السردية والعتبات النصية، ومشكلة الحقل الثقافي للخطاب السردي المصاقب للمقامات الخطابية ذات التيمات الثقافية والرموز السائدة في واقع المجتمع، فيصبح " المسار الذي يتشكل فيه و يتقولب تصور شيء ما من خلال الحاجات الغريزية للشخص، و تفسر فيه التصورات المسبقة للشخص في محيط اجتماعي وبالتالي يتحين مفهوم الهوية غير المنظورة التي يكونها المجتمع لنفسه"(11) . عبر مشروطيتها وطرق تشكلها التي تؤسسها ثقافة وقيم المجتمع.

6- تجليات الأدبية في نص المذكرات:

تفارق المذكرات غيرها من مجموع أعمال مالك بن نبي بتنوع محطاتها وفرادة مهيمناتها الأجناسية، وعلى الرغم من اختلاف الأنموذج النسقي للمذكرات من خلال التمثلات الثقافية التي تعكسها فإن الحالة الذهنية التي أنتجتها تنطلق من الانتظام الواضح لمتواليات الهوية الفكرية المهيمنة " الأشكال إذ تنتظم وتجتمع وفقاً لقوانين معينة مجهولة وغامضة، تحرك مشاعرنا فعلاً بطريقة معينة " (12)، حيث يتعدى المعطى الإجرائي الذي يحصر الأدب في السياق إلى الأخذ بنحوية النص وعيانية الأنموذج الذي تريد تحقيقه وتؤديه الكتابة عبر تحولات اللغة.

من العناصر المكونة لثراء النص السردي هي ضرورة اعتماد السرد الروائي على الوظيفة المخيالية لمدونة الخيال ، واستدعاءها للعجائبي والتاريخي والديني والاجتماعي، أو التناص مع الإرث الفكري. واستعانتها بالأدوات الأجناسية والتقاطع مع المنظور الواقعي التسجيلي للوقائع والبيئة الحياتية التاريخية في لحظتها الزمانية، وهو ما أفصحت عنه المذكرات.

يستثمر كاتب المذكرات صنفين بارزين من الأنساق، يستخدم في الأول وسائل واقعية مستثمرا بيئته الاجتماعية، ليقوم بتأثيث مستويات الفضاء السردي- الفضاء المتخيل- بصورة تذكرية من حيث الصياغة التجريدية المحايثة للواقع والمحاكية للوقائع، لتكون المرجعية أعمق دلالة من الناحية الرمزية وأكثر ألفة" فالحياة في قسنطينة منعتنا من أن نجمد على موضوع واحد، فإن كل يوم كان يحمل معه عنصرا جديدا يصرف تفكيرنا نحو اهتمامات أخرى"(13). تظل المدينة الهوية لصيقة بالذات وحين تعجز عن مده بمتطلباته الروحية والفكرية أو تغذيته بالأحلام،

يفكر الكاتب في هجرة المكان الأفق – لا المكان المدينة- بحثا عن مرافئ أكثر عطاء تعيد إليه قوى التحكم في التنوع والاختلاف، وتمكنه من التحكم في تشرذم الأفكار وملاحقة الاهتمامات.

ويسترسل المؤلف بلغة أنويه كثيفة تبدو بسيطة للوهلة الأولى، ليؤسس خطابا و نصا تتعاضد في تشكلاته رؤى الدين والحياة، حيث يؤدي المخيال المعبّر عنه رمزياً في المذكرات وظيفة وصفية، سواء للفضاء والهوامس المطرزة له، فيشكل الفضاء معياراً لقياس الوعي و العلائق و التراتبيات الوجودية و الاجتماعية و الثقافية "(14). انطلاقا من تعدُّد المناهج وطبيعة المرحلة الحضارية التي تُنتجُ أشكال القراءة تمثل لحظة وعي بالمكان وطرق تمثله ورهانات وجوده.

ومن حيث يتمكن الانسان من التعبير عن أفكاره و ثقافته من خلال انتظام تلك الأنساق في فضاء مخيالي" لذلك يمكن القول بأن تاريخ الإنسان هو تاريخ تفاعلاته مع الفضاء"(15). ويلخص مالك بن نبي هذه الفقاعات "والآن بعد أربعين سنة..كانت تدفعني إلى هذا المكان الذي تكامل فيه تكويني الروحي، ولا بد من القول للحقيقة إن ضميري تفتح فيه إلى كل المشكلات التي شغلت حياتي حتى هذه الساعة"(16)، فالفضاءات المختلفة تصنع الاكتمال بما يتوافقُ مع إيقاع اللحظة التاريخية والتوجهات الفكرية وهاجسُ تحرير الإنسان من الاستلاب التاريخي والاجتماعي والاديولوجي حسب تأكيد المؤلف.

أما الصنف الثاني من الأنساق التي يلجأ إلى استثمارها المؤلف فهي الجاهزة التي صاغها المجتمع للتعبير عن رحلته عبر فضاء العمر ومضي الأيام، وطبيعة الوعي الذي ميَّز تلك الحقبة التاريخية ورهاناتها، من أجل تفسير وتبرير ما يحدث من سلوكات وأحداث لإعادة تحيين العلاقة مع الذات وترتيب الأفكار المتناثرة حولها.

وكما في كل المجتمعات يصبغ المجتمع بعض الأحداث بأقوال وتفسيرات وصيغ حافلة مكتنزة وملائمة لكل وضع وظرف، تدلل على الهوية والأبعاد التاريخية والاجتماعية للشخصية، وهو ما حوال مالك تفسير ما كان يحدث عبر تجواله " ففي أيام السوق كان يلذ لي أن أدهب إلى هناك.. واستمع إلى الحكواتي...في المساء كان الناس يجتمعون في المقاهي الجزائرية يستمعون إلى القصاصين"(17)، تنشأ بعدها أنساق ومنظومات مثل الأقوال والأمثال والممارسات

الأنثروبولوجية اليومية والدورية، تشبه محاولة تجميع وتكوين رصيد ثقافي حول حركية وثقافة المجتمع وتفاعلاته من أجل فهم حركة الوعي وترتيب العلاقة مع اللحظة الحضارية.

إن اقتفاء طبيعة تلك الأنساق يقودنا إلى اعتبارها مهيمنات وقوى حراسة ذاتية وصيانة للمجتمع تشمل مهيمنة السلطة والمقدس والجماعة ذات الطابع السجالي المتراكم بغية أنسنة الحياة وخلق الانسجام والوحدة المشيدة لروح التعاون الجماعية وعمارة الأرض" أما الوحدة فلأنها كانت تغذي في نفسي الجانب الروحي"(18). تخليصا للأفراد من التدجين الفكري الممنهج وتحريرا لجذوة الأصالة المطمورة داخل الذات المتراجعة قهرا وخوفا.

تلخصت محاولات تجسيد تلك الأنساق عبر اللغة والأيقونة والرمز نظرا لامتلاكها شروط التعاطي مع الصيرورة التاريخية والبقاء وهي وعد بالتحقق –تحقق الهوية الحرة- أمام مستعمر يسلب كل القيم ويدعو إلى الهيمنة والتمركز " لم أدرك خطورة موقفي في نظام استعماري لا يترك مجالا لأفكار الرجل المستعمر ولا لعقيدته"(19). أمام رهانات التحرر وتحقيق الهوية الشخصية والوطنية وصيانة المعتقدات، لا مفر من فهم حجم الخطر المتنامي الذي يجب تدارك الموقف في مواجهته.

مقابل الصراع الفكري الذي نشأ بوصفه رسالة يركز على هوية الخطاب ذاته وعلاقته بالسلطة الحاكمة " كانت الإدارة الاستعمارية بالمرصاد تعمل على إخفاق المشروع.."(20)، تأكيد المؤلف على طبيعة الصراع الذي يستدعي تغيير طرق المواجهة وأساليبها. "..أسميتها اليوم دروسا في الفعالية وفي الأسلوب او بكلمة واحدة في الحضارة"(21). ظل مالك يدعو إلى فهم طبيعة عمل المستعمر في إفشال المشروع النهضوي والتحرري للمجتمع، عبر معرفة الذات أكثر لاكتشاف الآخر، وتخليص العقل من عجزه وركونه، وهو ما أسماه دروسا في الفعالية والأسلوب.

ويستشعر المؤلف الدور الذي يجب أن يؤديه لاحقا" فكان حسبي أن أدعو فقط. فدعوت في الحي اللاتيني للإصلاح والوهابية والوحدة المغربية.."(22). بوصفها عوامل تحرر وحركات نهضوية وعوامل تجميع وتوحيد وقوة، ما يشيده النص عبر الدعوة والكلمة، نسق يمكن تمرير مضامينه من خلال امتصاص فعالية تلك الخطابات الدينية والسياسية لتحقيق الإصلاح من جهة، وبناء الذات الحقيقية وفق الاسس الشرعية والحضارية المتجسدة في الوحدة (الوحدة المغاربية) واتباع السلف عبر اتباع نشاط الوهابية.

في البناء النصي للمذكرات وفضاءاته المختلفة يصور الكاتب كشوفاته لرؤى العالم وفلسفة الحياة وفلسفته في الحق والخير والأخلاق، ودعوته إلى التحرر من خلال نقل تجربته وممارساته، التي انعكست في نصّ متجانس وخليط من المعرفي والديني، وتشير هذه الأنساق إلى تصورات نهضوية بمحمولاتها والتي توجه انساق النص الذي تكتبه ذات رؤيوية لكينونة المجتمع وارتداداته بأفق عال من الحساسية الدينية، ومحاولة كشفية فانتازية تأخذ مستوى الكتابة إلى تأمل في حفريات النص وقراءته التأويلية.

في نص المذكرات يحاول مالك بن نبي إتمام مدار الزمن حين يوزعه على امتدادات الأمكنة التي عايش وعاين أحداثها، فيتحول الحساب الزمني للعمر إلى مساحة انكتاب ممتدة، فيلتبس الزمان بالمكان دون أن يحتوي كلاهما الآخر، تستل منهما الصور الأدبية التي صهرتهما معا. من حيث تعيد تشكيل المفاهيم المقولبة على وقع السياق الثقافي "الوعي بالسياق الثقافي وعي بالخطاب نفسه، وسبيل إلى إدراك القوانين المتحكمة والمتجسدة فيه، بوصفه إنتاجا ينتمي إلى الثقافة وأيضا له استقلاليته وإستراتيجيته داخل تلك الثقافة"(23) ، ويصير نسغ النص أنساقا تؤدي وظيفة تصويرية وتدلال على الواقع والمأمول، وتحقيقا لأهداف مرجوة" يرتبط بالسياقات الثقافية جميعا ويكتسب منها سلبا أو ايجابيا قدرة الفعل، وينتزع فيها شرعية تمكنه من المساهمة في التعبير عن سلطة رمزية وتأكيد عقد ثقافي" (24). .

يخلص البحث إلى جملة النتائج التي تبين اشتغال مالك بن نبي على سياق الواقع من اجل استثمار فعالياته وأنساق ثقافته لتمرير رسالته، انطلاقا من فهمه لاشتغال النسق الثقافي في بلورة التصورات وتسلل الافكار من خلاله، كما يدرك مالك بن نبي أهمية العامل الديني والثقافي في تحقيق غاية الإصلاح المأمول، وأن أحسن وسيلة لتمرير رسالته هو الصياغة الأدبية، وعليه يركز المؤلف على الأدبية في صياغة المرويات التاريخية المشكلة من أدب المذكرات -كما تبرز أيضا في التراجم والرحلات- رغم تباين أنساقها وفي محاولتها مطابقة الواقع باستثمار معطيات الماضي، ومحاولة إختلاق ذاكرة من خلال صياغة سردية تحتكم إلى فعالية الأدبية والتأثير الجمالي للنصوص خاصة التوثيقية، التي تكون غالباً مرويات سردية، تكتنز وتتكدس ضمن تمثيلاتها معقولية العلاقات الإنسانية، ومقبولية المفاهيم الفكرية، ومنطقية التصـورات المتداولة.

الخاتمة :

وعليه نخلص إلى أن تكاثر النظريات حول الأدب ومحاولة الإمساك بأدبية النص انطلاقا من واقعه التاريخي والاجتماعي مع مراعاة واقع العمل الأدبي ووظيفته وبيئته الثقافية ، فالقيام على هذا المساق بالبحث عن الأدبية في أعمال مالك بن نبي لا تنفك تحيل إلى جملة من النتائج التي توصل إليها البحث ومنها :

ـ الأدب كخطاب يتبلور من خلال قوانينه الخاصة وخصوصياته و تحققاته الجمالية وحجم العلاقات الضمنية التي يبنيها داخله .

ـ لا يمكن التعاطي مع النص الأدبي دون إدراك شروط بناء الخطاب وطرق تخارج وتداخل تلك الأنساق التي تحركه .

ـ المتصورات الفكرية والثقافية المختلفة تنعكس على عدة أصعدة داخل النص الأدبي ضمن نسق بإدراج السنن والقيم وتفاعلاتها ثم بلورتها خطابا .

ـ ينبني خطاب المذكرات على تجسيد متصورات أخلاقية ودينية وتصورات إزاء الله والحياة.

ـ الاتكاء على جمالية السرد والتخييل عبر حنين الأمكنة والذكريات لتمرير القيم والقناعات وتحقق إنتاجية النص .

ـ استثمار فضاء النص والأنموذج النسقي لتمرير المتواليات الفكرية والقيم وغلغلتها ضمن السياق الثقافي العام .

ـ تنفرد المذكرات بتنوع محطاتها الأجناسية واستثمارها ثم تأثيث الفضاء السردي لتكون المرجعية أعمق دلالة تتعاضد في تشكلها رؤى يؤمن بها ويريد تمريرها إلى المتلقي.

المصادر والمراجع:

- مالك بن نبي ، مذكرات شاهد للقرن، دار الفكر،ط2، دمشق سوريا، 1984.

- إدوارد، سعيد. عندما تسافر النظرية. ترجمة :مصطفى سعيد. مجلة الحكمة، ،ع 2 ، يوليو المغرب 1986.

- حسن نجمي، شعرية الفضاء المتخيل و الهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء المغرب، بيروت لبنان. 2000.

- جيلبر، دوران، الأنثروبولوجيا، رموزها، أساطيرها، أنساقها، ترجمة مصباح الحمد، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع،ط1، بيروت لبنان، 1993.

- سعيد بنكراد: السيميائيات، مفاهيمها وتطبيقاتها، مطبعة النجاح الجديدة.،ط1، الدار البيضاء المغرب،2003.

- كلايف بل، الفن، ترجمة : د. عادل مصطفى، دار النهضة العربية-بيروت، ط1، 2001.

- محمد أحمد اليانكي. قراءة التفكيك في الفكر النقدي العربي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2005.

- محمد الدغمومي: نقد الرواية والقصة القصيرة بالمغرب،شركة النشر والتوزيع المدارس، ط2006،1.

الهوامش:

1-بشير تاوريرت، الشعرية و الحداثة بين أفق النقد الأدبي وأفق النظرية الشعرية، ط 1، دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2008، ص: 43.

2- محمد أحمد اليانكي. قراءة التفكيك في الفكر النقدي العربي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2005، ص :55.

3- بشير تاوريرت، الشعرية و الحداثة بين أفق النقد الأدبي وأفق النظرية الشعرية، ص:112.

4- ينظر، محمد أحمد اليانكي. قراءة التفكيك في الفكر النقدي العربي ، ص56.

5- سعيد بنكراد: السيميائيات، مفاهيمها وتطبيقاتها، مطبعة النجاح الجديدة.،ط1، الدار البيضاء المغرب، 2003، ص47.

6- أيان كريب، النظرية الإجتماعية، سلسلة عالم المعرفة، 244 ، الكويت ، أفريل1999. ع244، ص 164.

7- إدوارد، سعيد. عندما تسافر النظرية. ترجمة :مصطفى سعيد. مجلة الحكمة، المغرب، يوليو 1986، ع 2 ،ص 139.

8- مالك بن نبي ، مذكرات شاهد للقرن، دار الفكر،ط2، دمشق سوريا، 1984، ص15.

9- نفسه، ص16.

10- السيميائيات، مفاهيمها وتطبيقاتها، ص46.

11- جيلبر، دوران، الأنثروبولوجيا، رموزها، أساطيرها، أنساقها، ترجمة مصباح الحمد، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع،ط1، بيروت لبنان، 1993، ص.21.

12- كلايف بل، الفن، ترجمة : د. عادل مصطفى، دار النهضة العربية-بيروت، ط1، 2001، ص41.

13- مذكرات شاهد للقرن،ص132.

14- حسن نجمي، شعرية الفضاء المتخيل و الهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، ط1، 2000 الدار البيضاء المغرب، بيروت لبنان، ص32.

15- نفسه، ص32.

16- مذكرات شاهد للقرن، ص211.

17- نفسه، ص28.

18- نفسه، ص222.

19- نفسه، ص223.

20- نفسه، ص-227.

21- نفسه، ص228.

22- نفسه، ص228.

23- محمد الدغمومي: نقد الرواية والقصة القصيرة بالمغرب،شركة النشر والتوزيع المدارس، ط200،1، ص11.

24- نقسه، ص12.